

مقال

كيف تنجح في حياتك؟

أ.د. محمد محمود كالو – جامعة أديامان



ماتت إحدى الأسماك في منزل أحدهم، فاستدعى أحد المختصين لزيارة منزله وسأله: ما الذي حدث؟ ولماذا ماتت سمكتي؟

فقال المختص: السمكة كانت مريضة، وقد يكون هناك بعض الأسماك الأخرى مريضة!

قال صاحب السمك: كنت خائفاً، ما الذي ينبغي عليَّ فعله؟ وكيف يمكنني حل هذه المشكلة؟ وكيف أعالج السمك؟ هل أعطيهم بعض الأدوية مثلاً؟ أو أخرجهم وأعطيهم بعض الحقن؟

قال المختص: إذا كان السمك مريضاً، لا تعالج السمك، بل عالج الماء! وهنا مربط الفرس!

لذا أريد أن أشارككم رسالة عميقة جداً مستوحاة من هذه القصة، ما هو العدو الأول الذي يعيق نجاحك؟ دقق في قول المختص: (لا تعالج السمك بل عالج الماء)، إذا أحببت أن تنجح وتتغير، وتريد تحسين حياتك، فعليك أولاً أن تكون على وعي بمن يحيطون بك، وبمن تحيط نفسك بهم، هذا هو ماؤك وأنت السمكة، فمعظم الناس الذين يريدون تحسين وتحصين أنفسهم أو يريدون زيادة الدخل المادي من الأموال، إنهم يريدون السعادة ويبحثون عنها، لكنهم يريدون تغيير كل ذلك بدون تغيير بيئتهم، وهذا شبه مستحيل، أنت تضع نفسك في بوتقة الفشل، إذ كيف ستتغير وبيئتك سامة وملوثة؟!

الأشخاص الذين يحيطون بك سيئون وسلبيون ولا يؤمنون بقدراتك وإمكانياتك، أو مكان عملك غير مناسب لغاياتك وأهدافك الاستراتيجية، فكيف ستخرج من هذه البيئة الموبوءة؟

ولأن الإنسان ابن بيئته، فأول ما ينبغي أن تفكر فيه هو تغيير بيئتك وما يحيط بك، ليس جسدياً فقط بل عقلياً أيضاً، وهذا يعني مكانك الذي تعمل به، ومكتبك المنزلي، والأصدقاء الذين تجالسهم ويجالسونك، وهذا ما يدعوك إلى التنقل إلى مكان آخر، وأن تتحرك، وتخرج من بيئتك المعيقة للنجاح.

وهذا ما يستفاد من الحديث الشريف الذي رواه الشيخان أنه (كانَ فِيمَن كانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عن أعْلَمِ أهْلِ الأرْضِ فَدُلَّ علَى راهِبٍ، فأتاهُ فقالَ: إنَّه قَتَلَ تِسْعَةً وتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهلْ له مِن تَوْبَةٍ؟ فقالَ: لا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ به مِئَةً، ثُمَّ سَأَلَ عن أعْلَمِ أهْلِ الأرْضِ فَدُلَّ علَى رَجُلٍ عالِمٍ، فقالَ: إنَّه قَتَلَ مِئَةَ نَفْسٍ، فَهلْ له مِن تَوْبَةٍ؟ فقالَ: نَعَمْ، ومَن يَحُولُ بيْنَهُ وبيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إلى أرْضِ كَذا وكَذا، فإنَّ بها أُناسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فاعْبُدِ اللَّهَ معهُمْ، ولا تَرْجِعْ إلى أرْضِكَ، فإنَّها أرْضُ سَوْءٍ).

وهنا نجد أن العالم أوصى القاتل بأن يغيّر بيئته والأرض التي يعيش فيها، لأنها أَرْضُ سَوْءٍ وقد تأثر بها، بل حتى المركوب يؤثر في صاحبه، ولست أعني بالمركوب الحذاء، بل ما يركبه الإنسان من الحيوانات فهو يؤثر في صاحبه، والدليل في هذا ما رواه البخاري أن الرسول صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قال: (الفَخْرُ والخُيَلاءُ في أهْلِ الخَيْلِ والإبِلِ والفَدَّادِينَ أهْلِ الوَبَرِ، والسَّكِينَةُ في أهْلِ الغَنَمِ)، فالخيل من طبعها أن فيها نوعاً من الكبر، والإنسان حين يركب الخيل يشعر بالكبر والعظمة، ونلاحظ هذا في أي إنسان يركب سيارةً فارهة هذه الأيام فإنه يحس بالكبر، والفَدَّادون: همُ الَّذين يَرفَعونَ أصواتَهم، وهي عادَةُ أصحابِ الإبلِ، أما أَهْلِ الغَنَمِ فأغلَبَ ما تَكونُ السَّكينَةُ والطُّمأنينَةُ والوَقارُ والتَّواضُعُ في أصحابِه، بل يقول علماء النفس: إن أكل اللحوم من حيوان معين يكسب الإنسان بعض صفاته.

لذا ضع نفسك في المكان المناسب الذي تريد أن تكون فيه، فإذا كنت تريد الفوز في لعبة مثلاً؛ فعليك الخروج من بين الجمهور إلى داخل حلبة اللعبة أولاً، وهذه هي طريقة تغيير البيئة، والشيء الثاني الذي ينبغي أن تغيره؛ هم أصدقاء السوء الذين يحيطون بك، لأنهم ليسوا في المكان والمنزلة التي تريد أن تكون فيه، وما أجمل قول الحكيم حين قال: أرني أصدقاءك وسأريك مستقبلك! فالصاحب ساحب، ومهما حاولت فلا بدَّ وأن تتأثر به.

ربما تريد أن تكون رجل أعمال مثلاً، ومن يحيطون بك يقولون لك: لا تفعل، لأنها تشتمل على مخاطر كبيرة، لماذا لا تبحث عن وظيفة آمنة ومأمونة؟ لماذا لا تكون مثل والدك؟ لماذا لا تكون مثل ابن عمك؟

إنهم لا يعرفون أهدافك ولا يعلمون أين تريد أن تتجه، ولا يفهمون طموحك، ومن شبه المستحيل تغيير أفكارهم ورؤيتهم المستقبلية، إذ أحد أصعب الأمور هو تغيير عقل شخص ما، ولكن يمكنك الابتعاد عنهم، فإذا أردت أن تتغير فعليك بعلاج الماء، وهي البيئة، لا علاج السمك، فبيئتك تجرُّك نحو المستقبل الذي تريد، فإذا أردت أن تسير باتجاه اليمين، وبيئتك تجذبك نحو الشمال، لا يمكنك التغيير ولا التقدم إلى الأمام والأفضل والأحسن، تفقد بيئتك الاجتماعية، وتنبَّهْ حتى من خطيبك أو خطيبتكَ أو زوجتك إذا كانوا سلبيين وضد أهدافك ويشدُّونك نحو الخلف، أو عكس الاتجاه الذي تريد الوصول إليه من أهدافك وغاياتك، ولا تنسَ أن الشيء الوحيد الذي يعيق نجاحك هو بيئتك ومن يحيطون بك!

والجدير ذكره أن البيئة لا تؤثر فقط في سلوك الإنسان، وإنما تؤثر في نموه وتكوينه وبنائه وشخصيته وصحته الجسمية والعقلية والنفسية، ومدى إصابته بالمرض أو تمتعه بالصحة والعافية، وتؤثر البيئة كذلك في اتجاهات الإنسان وميوله وأفكاره وآرائه ومعتقداته، وفي سمات شخصيته، فإذا أحببت أن تنجح في حياتك، فعليك أن تكون على وعي تام بمن يحيطون بك، هذا هو ماؤك وأنت السمكة.